سيبويه والتغيير الفونولوجي في صوائت العربية وصوامتها

إبراهيم خليل*

ملخص

تعد دراسة التأثير المتبادل بين الاصوات اللغوية في اثناء الكلام من الامور التي عني بها اللغويون العرب منذ القدم. ولسيبويه، مؤلف"الكتاب"، فضل في هذا الميدان اشار له ونبه عليه بعض الدارسين من عرب ومستشرقين. ولا شك في ان ما تناثر من آرائه في ابواب كتابه محتاج لا إلى دراسة بل الى دراسات. وهذا البحث لا يدعي الاحاطة بكل صغيرة وكبيرة من آرائه وانما يحاول تسليط الضوء علىما في تلك الاراء من بصر نافذ ونظر دقيق مكن صاحبه من تعليل الكثير من الاختلافات النطقية التي تعتور الصوائت والصوامت بتأثير بعضها في بعض داخل السلسلة المنطوقة من الكلمات والتراكيب. وقد أفاد في تعليله لتلك الاختلافات من معرفته بخصائص الاصوات العربية وصفاتها ومخارجها وهو الشيء الذي اوضحه في باب مستقل من أبواب "الكتاب".

المقدمـــــة

يرى غير قليل من المحدثين ان دراسة الاصوات اللغوية تنقسم الى عدة فروع منها فرع الدراسات الصوتية الاكوستيكية. وهو الفرع الذي يهتم بالاصوات من حيث طبيعتها الفيزيائية؛ مخارجها، وأطوالها، وصفاتها، وخصائصها. ولكن من الواضح اننا لا نتكلم بأصوات مفردة، بل ان الكلام الانساني مكون من اصوات مجمعة او سلاسل صوتية متعاقبة متشابكة الى اقصى حد بحيث يخيل لبعض الناس ان من المستحيل التفريق بين صوت وآخر. واذا كانت الدراسة الصوتية المجردة تعتمد على دراسة كل صوت بمفرده فان الفونولوجيا Phonology أو علم الاصوات الوظيفي يعمد الى وضع هذه الاصوات ضمن علاقاتها السياقية فيدرسها ويبين خصائصها التعاملية تبعاً لتنوع السياق[1].

ويذكر جان كانتينو في كتابه: دروس في علم الاصوات العربية ان اللغويين العرب أبدوا اهتماماً بالجانب الفونولوجي في ابحاثهم الصوتية يفوق اهتمامهم الذي ابدوه بالجانب الأكوستيكي[2].

فمن جهة العناية بالصوتيات الخالصة والصوتيات النطقية والسمعية تحدث الخليل بن احمد (١٧٥هـ) عن جهاز النطق، فذكر الحلق واللهاة والنطع والغار واللسان. وقسم سيبويه (١٨٠هـ) الحلق على ثلاثة اقسام، وبعد ان وضح وظيفة كل قسم منها اشار الى اصول الثنايا العليا والحنك والشفتين والفراغ الانفي.

والناظر في كتابه يلاحظ ان دراسته لصوتيات العربية لم تسر وفق منظور شمولي وانما جاءت ملاحظات متفرقة ومبعثرة مثلما اشرنا من قبل غير انه افرد بابا لأصوات العربية تحدث فيه عن جهاز النطق ومخارج الحروف ووصف حروف الهجاء وعدد بعض صفاتها[3]. وهذا يعني انه انطلق في مبحثه الصوتي من الاشارة الى الصورة الصوتية او السمعية المجردة ليجد نفسه في مجال آخر هو النظر في الاختلافات النطقية للأصوات في درج الكلام، وسياق القول، وهذا منسجم تماماً مع طبيعة الامور لان البحث يبدأ من الكلي وينتهي الى الجزئي المفصل، وهو متوافق مع ما تذهب اليه حلقة براغ اللغوية التي ترى في تناول الصوتيات الخالصة خطوة تقود الى معرفـــة

---

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ٢٠٠١/٢/١٣، وتاريخ قبوله ٢٠٠١/٧/٨.

(١) بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، ص١٥٥.

(٢) كانتينو، دروس في علم الاصوات العربية، ص١٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ج٤، ص ٥٧٢-٥٧٥.

التغيير الفونولوجي[٤].

وقد عرض سيبويه في كتابه لعدد من الظواهر الفونولوجية عرضاً غير منظم أي انه لا يقع في حيز مستقل أو باب معين من الكتاب وانما يذكر ملاحظة عن الابدال هنا واخرى عن القلب هناك.

ويأتي بشيء من حذف الصوائت للتخفيف او ابدالها او التقريب بين الامامي والخلفي منها هنا او هناك وقد يشير الى القلب المكاني في الحركات او في الحروف الصحيحة من غير ان يكون الباب الذي يذكر ذلك فيه خاصاً بالقلب، وعنى أيضاً بالامالة والاشمام والروم والتفخيم والاطباق في غير الاصوات المفخمة اصلاً او المطبقة. وذلك كله مما سنتناوله ههنا مشيرين الى تعليله الصوتي لمثل هاتيك الظواهر، وسنقدم القول في الصوائت Vowels بنوعيها الطوال والقصار لما لها من قيمة في البحث الفونولوجي.

١- التغيير الفونولوجي في الصوائت

اختلف في تعريف الصوائت مثلما اختلف في تعريف الصوامت وليس ثمة اجماع على استخدام مصطلح واحد عند اللغويين لما يعرف بالصائت او الصامت[٥]. وقد اختير لفظ صامت للتعبير عما يسمى في اللغات الاجنبية Consonant وصائت للتعبير عما يسمى فيها Vowel فالصوائت هي التي يسميها بعض الباحثين العرب علاً أو اصوات لين[٦]، أو اصوات المد.

وقد وصف سيبويه هذه الصوائت في الكتاب وهي عنده صنفان: اللينة والهاوية. وأما اللينة فهي الواو والياء. وقد وصفهما باللين "لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت اشد من اتساع غيرهما، كقولك "و ي" وان شئت اجريت الصوت ومددت والهاوي هو الألف. وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الواو والياء، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك. وهذه الثلاثة اخفى الحروف لاتساع مخرجها، و اخفاهنّ وأوسَعُهُنَّ مخرجاً الالف"[٧].

ومقابل هذه الأصوات الثلاثة ثم صوائت قصيرة اخرى هي الحركات فاذا كانت الصوائت السابقة يصح وصفها بالطول لجواز التصويت فيها والمد فان الاخرى يصح وصفها بالقصر، وعلى هذا كان الكثير من علماء العربية في الماضي، فالفتحة هي ألف قصيرة والضمة هي واو صغيرة وكذلك الكسرة هي ياء صغيرة. وقد أكد هذا العرف ابن جني في سر صناعة الاعراب بقوله: " اعلم ان الحركات ابعاض حروف المد واللين وهي الالف والواو والياء... وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ... وهم في ذلك على طريق مستقيمة"[٨].

وهذا الوصف للصوائت القصيرة او الطويلة منسجم تماماً مع الوصف الحديث لها[٩]. ويخضع استعمال الصوائت في العربية لضروب من التأثير والتأثر بمواقعها في الكلم مما يجعل زيادتها وحذفها وقلبها من الامور التي تستدعي النظر.

وقد ذهب سيبويه الى ما ذهب اليه غيره من نحاة العربية وهو ضرورة زيادة الصائت في اوائل الكلم اذا كان الصوت الصحيح الاول فيها ساكناً وأضاف الى ذلك ان الزيادة قد تكون كسرة وقد تكون ضمة، فمتى تزاد الكسرة ومتى تزاد الضمة؟ لقد لاحظ ان الزيادة في مثل: اضرب واخرج تختلف عنها في مثل: انطلق، واستقم. فقد زيدت الضمة في الاول والكسرة في الثاني لأن الابتداء بالساكن غير ممكن. فتتقدم الزيادة متحركة ليوصل بها الى التكلم. وهذا لا يكون الا فيما سكن أوله." وتنتفي عنده

---

(٤) بشر، مرجع سابق، ص٨٦. وانظر: Vachek, J. The Linguistic School of Prague, p. 42.

(٥) السفروشني، مدخل للصواتة التوليدية، ص٢٤-٢٥. وانظر عبابنة، توحيد المصطلح في علم الاصوات، ص٦٧.

(٦) السابق، ص٢٥.

(٧) سيبويه، الكتاب ج٤، ص٥٧٥.

(٨) ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج١، ص١٧.

(٩) الخولي، معجم علم الاصوات، ص٩٨ وانظر الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص٢٣٨-٢٤٠.

الحاجة لهذه الزيادة اذا سبق الساكن بكلام لأن الساكن قد جاء قبله بما يستغنى به عن الالف(١٠)

وهو - أي الصائت الذي تتم زيادته - الكسرة أبداً ما لم يكن الحرف الثالث الذي بعده مضموماً، وفي هذه الحالة تكون الحركة الزائدة هي الضمة "لكراهية الانتقال من الكسر الى الضم وارادة العمل من وجه واحد، وهو بهذا أجدر"(١١).

والحق ان قوله "ارادة العمل من وجه واحد" تعليل دقيق لسبب الاضطراب عن الكسرة الى الضمة في مثل الخرج واضرب، فالضمة ذات مخرج خلفي والكسرة ذات مخرج امامي، ويستثقل الانتقال من الامامي الى الخلفي فجاءت زيادة الضمة فيما كان ثالثه مضموماً منسجماً صوتياً أكثر من الانتقال من الكسر الى الضم، فكأن ما جرى شبيه بالمماثلة التي تقع في الحركات وليس (في) الاصوات الصحاح(١٢).

والصائت القصير قد يزاد في غير أول الكلم، ففي مثل رادّ وصادّ يزاد الصائت القصير وهو الكسرة فتؤدي زيادته الى ابطال الادغام فيقال رادد وصادد. وانشد سيبويه لقعنب بن أم الصاحب قوله:

مهلاً أعادلَ قد جربتِ من خُلُقي
أني أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنوا(١٣)

فقد زاد الكسرة بعد النون الأولى، وأزال الادغام وبذلك يكون المتكلم في مثل هذه الامثلة قد لجأ الى المغايرة Dissimilation بدلاً من المماثلة ومن ضروب المماثلة التي تنشأ عن الحركات القصار ما يعتور الهمزة وهي صوت صحيح من انجذاب نحو الكسرة او الضمة او الفتحة لتصبح في ملفوظها صوتاً ليناً يشبه هاتيك الحركات، ففي رأيه ان وقوع الهمزة بعد كسر او ضم او فتح يقربها من الصائت الطويل الذي يجانس تلك الحركة، فتقترب الهمزة من الالف اذا سبقتها فتحة ومن الواو اذا سبقت بضمة ومن الياء ان سبقت بكسرة وهي التي تسمى همزة "بين بين" وذلك يظهر في امثلة مثل بئس كأنها بيئس وسئم: سيم، وقال ابراهيم ففي هذا التركيب الأخير تلاشى تأثير كسرة الالف المهموزة، وفي كلمات مثل: أم وأخت اذا سبقها الضم ضارعت الواو في النطق مثل: درهم أمك ودرهم أختك. واذا وقعت الهمزة بعد حرف مكسور انقلبت ياء مثلما في بئر وبير ولئم ولِيم وذئب وذيب. والشيء نفسه اذا وقعت بعد ضم مثل: توده تُوده. وتوكد تُوكد(١٣).

وما يذهب اليه سيبويه في وصفه للتأثير المتبادل بين الحركات والهمزة وهي صوت صحيح كما مر بنا يدل على تلمسه الدقيق لتأثير الحركات في الاصوات، وأن المماثلة والتقارب يقع بين الحركة والصوت الصحيح مثلما يقع بين الصحيحين.

ولا يقتصر تأثر الهمزة على الصوائت القصار وانما يتعداها الى الصوائت الطوال. فاذا وقعت بعد ألف في مثل هباءة وبداءة ومسائل تصير في مثل هذا المواقع صوت مد نحو: هباية وبداية ومسايل. وقد يقع هذا التأثير في مثل: خطية من خطيئة. ففيها وقعت الهمزة بعد ياء فأبدلت منها وكذلك بعد الواو في مثل الهدوء، صارت الهدو(١٤). وتفسير سيبويه لهذه الظاهرة تفسير صوتي "فقد بَعُد - في رأيه - مخرجُها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج عن اجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع"(١٥).

وهذا يعني أن مستعملي العربية استثقلوا الانتقال من الحركة او الصائت الطويل وهو من الفم الى اقصى الحلق بالهمزة فلجأوا الى قانون المماثلة فأبدلوا الهمزة من الياء او الواو توخياً للانسجام الصوتي من جهة وطلباً للتخفيف من جهة اخرى.

---

(١٠) سيبويه، مصدر سابق، ج ٤، ص٢٥٨.
(١١) المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٩.
(١٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٩.
(١٣) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٨.
(١٤) المصدر السابق، ج٤، ص٢٨.
(١٥) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٩.

٢- **مماثلة الصوائت Vowel Harmony**

عند سيبويه باب لا غنى عنه لمن اراد معرفة الاداء النطقي. وفي هذا الباب نجده يستخدم مفردات متعددة منها الروم والاشمام والامالة لكنّ أجدرها بالعناية، والملاحظ، هي الاخيرة. فالإمالة عنده هي: الجنوح بالألف نحو الياء اذا وقع ما بعدها مكسوراً. وكأنه يعدها ضرباً من المماثلة يتطلبها الانسجام الصوتي. ففي كلمة مثل: كافر وعابِد وعالِم ومسا جِد يلاحظ ان الانتقال من الألف – وهي مما يجانس الفتحة – الى الكسرة يخالف سنن الانسجام النطقي فيتم اشرابها صوت الياء فيقال فيها جميعاً: كيفر وعييد وعيلم ومسيجد.(١٦)

فهم في رأيه يميلونها ويقربونها من الياء للكسرة التي بعدها مثلما قربوا الصاد من الزاي في مثل قولهـم: مصْدر. ولم يكتف سيبويه بما ذكر توكيداً للصلة بين المماثلة والامالة بل يضيف: "والامالة مثل الادغام من حيث ان المتكلم يريد فيهما ان يرفع لسانه من موضع واحد"(١٧). فأرادوا – بحسب رأيه – "تقريب الألف من الياء". ولذلك، إذا كان ما بعد الألف مضموماً او مفتوحاً لم تكن فيه امالة. والمماثلة بين الالف والياء قد تكون امامية او خلفية. والخلفية كالأمثلة التي ذكرناها والامامية كقولهم في كيال وبياع كييل وبييع. ويعلل هذا النوع من التماثل بين الياء المتقدمة والألف التالية "بجواز الامالة فيهما لتقدم الياء المشابهة للكسرة. فهي كقولهم، سِراج، وجِمال"(١٨).

٣ – **القلب المكاني**

ويتطرق سيبويه في ملاحظاته على الحركات الى ما يسمى بالقلب المكاني: metathesis وهو أن تأخذ حركة موقعاً آخر أمامياً ويسكن الصوت الذي لازمته من قبل. ففي الوقوف على بكْر وعمْرو وغيرهما استثقل الجمع بين الساكنين فنُقلت حركة الآخر الى الصوت الذي قبله فقالوا: بكِر، بدلاً من بكْر وعمِرو بدلاً من عمْرو وعَدِل بدلاً من عدْل وفَسِل بدلاً من فسْل. فالصائت القصير اذن زيد من اجل التخلص من تتابع صوتين صحيحين ساكنين. ولا يكون هذا في مثل زيد وعون ونحوهما لأن الواو والياء فيهما حرفا مدّ يحتملان ذلك كما احتملا أشياء في القوافي لم يحتملها غيرهما. وكذلك الألف، يُضاف الى ذلك كراهية الضمّ والكسر في الياء والواو(١٩).

والحق ان ما ظنه سيبويه ههنا نقلاً مكانياً للحركة غير دقيق. والارجح ان الحركة وهي الكسرة في بكِر وعمِرو وعدِل قد زيدت زيادة من غير ان تكون هي الحركة نفسها التي في آخر الكلمة. وزيادة هذه الكسرة كزيادتها في رادِدّ وصادِدّ بدليل أنها لا تزاد في مثل: زيْد وعوْن لقيام الياء والواو وهما شبيهان بالحركات مقام الحركة. ونجد هذا مماثلاً لزيادتهم الحركة عند الوقوف على الهمزة في مثل: بطء يقال: (بُطُؤ) فقد زيدت الحركة لأن ذلك أبين لها وأوضح(٢٠). وزيادة الصائت القصير للتخلّص من الساكنين شيء معروف في العربية. وهو يقع في الكلمة الواحدة مثلما يقع في كلمتين كما في قولهم: "ان الله عافاني فعلت". فقد زيدت الكسرة بين النون الساكنة واللام الساكنة في لفظ الجلالة. وفي قوله تعالى: "قلُ انظروا"(٢١) زيدت الضمة وهذا شبيه بما يقع في ابتداء الكلام من زيادة الضمة عوضاً عن الكسرة(٢٢). والخلاف في الحركة المزيدة وهل هي ضمة او كسرة خلاف ظاهر عند اصحاب القراءات فمنهم من زاد "قل انظروا" ومنهم من زاد الكسرة ومنهم من زاد الضمة ولكن الذي لا ريب فيه هو ان زيادة الحركة مظهر نطقي في العربية سببه كراهية الانتقال من ساكن الى ساكن آخر.(٢٣)

---

(١٦) مطر، في ابتكار نظرية التماثل، ص٥٧.
(١٧) المصدر السابق.
(١٨) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٣٨.
(١٩) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٨٦-٢٨٧.
(٢٠) المصدر السابق، ص٢٩٠
(٢١) سورة يونس، الآية ١٠١.
(٢٢) الكتاب، ج ٤، ص٢٦٥.
(٢٣) المصدر السابق، ج ٤، ص.٢٦٧

٤- حـذف الصـائت

ومثلما يزاد الصائت القصير طلباً للانسجام الصوتي او التخفيف قد يحذف للغرض نفسه، وقد توفرت لسيبويه امثلة من هذا الحذف وقف عندها، فقد سمع من نطق: فخْذ وعضْد وكبْد بسكون الخاء والضاد والباء وهي في الاصل فخِذ وعضِد وكبِد. وعلل هذا التغيير في نطق هاتيك الكلمات بأنهم لجأوا الى حذف الكسرة تخفيفاً فقد كرهوا ان يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح الى المكسور. والمفتوح اخفّ عليهم فكرهوا ان ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل. وكرهوا مثل ذلك الكسرة بعد الضم(٢٤).

وأغلب الظن ان الانتقال من الوسط لأن الفتحة وسطية الى الكسرة وهي صائت امامي هو السبب(٢٥).

وبذلك يكون سيبويه قدم تعليلاً وجيهاً لمثل هذا التغيير النطقي الذي قادت اليه مراعاة الانسجام الصوتي.

ويُسلِمُنا الحديث عن رصده للتغيير الصوتي في الحركات الى شأن آخر هو رصده لهذا التغيير في الحركات الطويلة. وهي الواو والألف والياء. ولا بد هنا من التذكير بأن سيبويه كغيره من قدامى النحاة يعد هذه الحروف أصواتاً صحيحة ساكنة ولذا يتناولها في باب ما يحذف من السواكن. ففي مثل رمى، ولم يخف، أسقطت الألف الساكنة في رأيه. وقد علل ذلك بتعذر اجتماع ساكنين وهما الألف والصوت الصحيح الساكن الذي بعدها. فحذفوا الألف تخفيفاً "فمِثْلُ هذه الألف كرهوا تحريكها لأنها اذا تحركت صارت ياءً أو واواً".(٢٦)

وهذا في رأيه يقع للياء والواو في مثل لم يبع ولم يقـل(٢٧).

ولا ريب في ان الصورة الخطية هي التي اوهمت سيبويه مثلما اوهمت غيره بأن الألف في مثل: لم يخف او الواو في مثل لم يقل او الياء في مثل لم يبع قد حذفت(٢٨).

وهذه المشكلة من مشكلات الكتابة في العربية. والأصح أن الصوائت في هذه الامثلة تحولت من صائت طويل الى ما يجانسها من الصوائت – الحركات – القصيرة. أي ان ما وقع في هذه الامثلة وغيرها لا يتعدى العدول بالصائت الطويل الى الصائت القصير فجعلوا الألف فتحة والواو ضمة والياء كسرة.

وهذا الذي ذكره مختلف عما ذكره في هيْن وليْن وميْت(٢٩). فالاصل في هذه الكلمات وما قيس عليها هيّن وليّن وميّت بياء مشدّدة . ودليله على هذا انهم في الجمع يقولون: هينون ولينون وميتون. وتفسير ذلك ان الاصل فيها جميعاً بياءين وقد حذفت احداهما للتخفيف.(٣٠) وقد وهم سيبويه فيما يتعلق بالدليل لأن الواو في هينون ولينون وميتون زائدة. وقد حذفت الياء من الياءين طلباً للتخفيف على نحو ما ذكر.

وتحذف الألف أو الياء أو الواو من أواخر الكلمات لغرض إعرابي. وليس في هذا شيء جديد، ولكن ما تجدر الإشارة اليه هو ما يلاحظه سيبويه من اختصاص الياء بظاهرة لم تختص بها أي من الصوائت. وهي تكرار حذفها من أواخر الكلم طلباً للتخفيف في مثل قوله تعالى: "فيقول ربي أكرمَن"(٣١) وقوله: "ربي أهانَن"(٣٢) يريد أكرمني وأهانني. وورد ذلك في الشعر لغير ضرورة في قول الاعشى:

ومن شأنئ كاسف وجهه

إذا ما انتسبت له **أنْكَرَن**(٣٣)

ولهذا في نظرنا ما يسوغه لأن الياء في مثل تلك الشواهد هي ياء المتكلم وهي ضمير والضمير مثلما هو معروف قد يحذف لدلالة السياق عليه. وفي الأمثلة

(٢٤) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٣١.
(٢٥) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٣٩-٢٤٠.
(٢٦) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٧٠.
(٢٧) المصدر السابق، ج ٣، ص٢.
(٢٨) عبده، القواعد الصوتية في استعمال المعجم، ص١٥١.
(٢٩) الكتاب، ج ٤، ص٥٠٧.
(٣٠) المصدر السابق، ج ٤، ص٤٧٩.
(٣١) سورة الفجر، الآية ١٥.
(٣٢) سورة الفجر، الآية ١٦.
(٣٣) الكتاب، ج ٤، ص٣٠٠.

المذكورة حذفت الياء لمراعاة الفاصلة في القرآن والقافية في بيت الاعشى، وقد يكون حذف الصوت في أواخر الكلم من الأشياء التي جروا عليها في حذف ما لا يحذف، فقد سمع عنهم (الحما) وهم يريدون الحمام كقول الشاعر:

قواطناً مكة من ورق الحما[٣٤]

وحذف آخر الياء من نواحي وجعلها نواح، ومثله

كنواح ريش حمامة نجدية

ومثل يزيد (نواحي) فحذف الياء، وقال آخر:

فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الأيد يخبطن السريحا[٣٥]

يريد (الأيدي)[٣٥] ولا ريب في أن الضرورة هي التي احوجت الشعراء في مثل هاتيك الامثلة الى حذف الالف والياء، الا ان سيبويه يلاحظ الفرق فيما بين الشاهد الأول الذي حذفت منه الميم من آخر الحمام والمثالين الآخرين اللذين حذفت منهما الياء، فالميم صوت صحيح وحذفه يشبه حذف النون في مثل لكن، ما دليلا ما سفعت بالفاء غير مقلم

فلسلبت يانيته ولا أمتطيعته ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

وأما الياء في مثل الايدي والنواحي فهو صوت مد ولين[٣٦]، وهو في رأينا حركة طويلة، والحركة الطويلة يجوز أن تقصر في الكلام مثلما قالوا:

من كل مسترخي النجاد منازل يسمو الى الاقران غير مقلم

فالياء في كلمة (مسترخي) صائت طويل تم تحويله الى كسرة ودمجت هذه الكسرة مع الصامت الذي يليها وهو النون في مقطع قصير مغلق لتناسب العروض ويقع التقصير في الألف في مثل قول الشاعر:

تلقى الذي لاقى العدو، وتصطبح

كأسا صبابتها كطعم العلقم

فالألف دمجت مع القاف التي قبلها واللام الساكنة التي تليها في مقطع قصير مغلق، ويتم تقصير الألف في الضمير أنا في معظم الأحيان وهذا مثال على ذلك من البحر الطويل:

لقد علمت علينا هوازن أنني أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر[٣٦]

وعليه فإن الاطلح ان يقال في الامثلة التي أوردنا انها من باب التقصير الذي يعرض للصائت الطويل وليس من باب الحذف. أضيفت في هذه الفقرة

وفي مثل ربيعة وحنيفة وجذيمة وقبيلة يحذف الصائت الطويل في النسبة تخفيفاً فلا يقال ربيعي او حنيفي وجذيمي وقبيلي وانما يقال ربعي[٣٧] وحنفي وجذمي وقبلي، ويرى سيبويه أن زيادة ياء النسبة في أواخر الكلم المذكورة على ما رافقها من الإدغام يؤدي الى استثقال النطق بالياء الاخرى. أي أن حذف الياء جاء تجنباً لثقل التاءم عن تكرارها ثلاثاً في الكلمة الواحدة. وينقل سيبويه عن يونس بن حبيب قوله انهم لا يحذفون الياء في المضاعف مثل: شديدي، لاستثقالهم التضعيف فكأنهم تجنبوا التقاء المثلين[٣٧]. ما دليلا ما سفعت

ومن الخلق ان ما جرى في مثل قبلي وربعي اكثر من ان يعد حذفاً للصائت الطويل وهو الياء. فقد استبدلت الياء من الفتحة أيضاً. وهذا ما لم ينتبه اليه سيبويه ولا غيره من النحاة. ففي مثل هذه الكلمات اسقطت الياء وظهرت في مكانها الحركة القصيرة وهي الفتحة لإشاعة التماثل الطوقي مع حركة الصوت الأول المفتوح، ليكون النمط – في رأينا – من وجه واحد وعلى نمط متجانس

ويشير سيبويه كغيره من النحاة الى حذف الياء في مثل قاض وارم من غير المتصل باللام معللا ذلك بقوله: لأن الياء مع الكسرة تستثقل فلما استثقل الياءات[٣٨]. وهذا لا ينسجم مع تأكيده على سبب الاماله لتناسب الألف الكسرة في مثل عابد وكافر ليكون النطق من وجه واحد وبقاء الياء

---

(٣٤) الكتاب، ج ١، ص١١٠.

(٣٥) المصدر السابق، ج ١، ص٢٦-٢٧

(٣٦) خليل، المقطع العروضي في ضوء الدراسات الصوتية، مجلة دراسات، مج ٢٤، ع ١، ص ٩٢

(٣٧) الكتاب، ج ٣، ص٣٧٢

(٣٨) الكتاب، ج ٤، ص٢٩٧

مع الكسرة ادعى للإحساس بالانسجام الصوتي غير ان ما خفيَ عليه هنا هو ان الياء لم تسبق بكسرة وانما هي كسرة طويلة جاءت بعدها النون الساكنة فاستثقل الطول مع السكون مثلما هو الحال في لم يخاف، ولم يقوم، ولم يجيء فصارت لم يخف ولم يقم ولم يجئ. والحقيقة ان الامثلة التي يذكرها سيبويه على تقصير الصائت الطويل كثيرة في ابواب الصرف خاصة، مما يستدعي الاكتفاء بالاشارة الى بعضها لا إليها كلها على سبيل التمثيل وليس الحصر والاستقصاء.

٥- إشباع الحركات

وهو يشير أيضاً الى ما يخالف هذه الظاهرة كأن يتم تطويل الصائت القصير لتصير الكسرة ياءً والفتحة ألفاً والضمة واواً لدواع تتعلق بالانسجام الصوتي. فقد لاحظ أنهم يمدون الكسرة في مثل: مساجد ومنابر فيقولون مساجيد ومنابير شبهوه بما جمع على غير واحد في الكلام، قال الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة ... نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[٣٩]

فالدراهم والصيارف مطلت فيها الكسرة لتصبح ياءً. وتطويل الصائت القصير شيء معروف في[٧] موسيقى الشعر، وهو يقع في الحشو مثلما يقع في أواخر الكلم، وقوافي الابيات، فمن ذلك مطل الضمة لتصبح واواً في مثل قول الاعشى:

هريرة ودعها وان لام لائمو ... غداة غد ام انت للبين راحم

وهذا الذي وقع من تطويل انما وقع فيما هو منون لأن الاصل فيها لائم وراحم، ولكن التطويل قد يقع فيما لا تنوين فيه كقول جرير:

أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي ان اصبت لقد اصابا

وجاء في مطل الضمة قول جرير:

ملى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام

وانما ألحقوا المدة بحروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم فألحقوا كل حرف الذي حركته فيه. أما اذا لم يترنموا فلذلك وجوه اخرى كوضع النون مكان المدة في قول العجاج:

من طلل كالاتحمي اتهجن[٤٠]

٦- تماثل الصوائت

ولا تختلف تقديرات سيبويه عن تقديرات غيره من اللغويين القدماء او المحدثين في ان الصوائت تتقارب ويضارع احدها الآخر. فالياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم اياهما ومرهما على ألسنتهم، ولهذا اذا وقعت احداهما ملاصقة للأخرى في كلمة واحدة، أو في كلمتين ولم يفصل بينهما حاجز من صوت صحيح، او صوبت كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد أخف. وكانت الياء في الغالب هي التي تؤثر في الواو لأنها اخف عليهم واشبههما بالألف، وذلك في مثل قولهم: سيد وصيّب من سيود وصيوب[٤١]. والتأثير الذي تحدثه الياء في الواو اذا لاصقتها وتقدمت عليها كالتأثير الذي تحدثه الكسرة فيها مثل: ميزان من موزان ليكون النطق من وجه واحد. وتؤثر الفتحة في الياء اذا لاصقتها وتقدمت عليها فتقارب الياء الواو نطقاً ويقال موقن وموقنن وموسر في ميقن وميئس وميسر.[٤٢] ومثل ذلك قولهم في جمع سوط: سياط، وثوب: ثياب، وروضة: رياض.

وتفسير ما يقع في الامثلة المذكورة معروف، فالياء والكسرة حركتان أماميتان فيما الضمة والواو خلفيتان. وإذا لم يكن بينهما ما يلفظ صوتاً كان أو صائتاً قصيراً فإن

(٣٩) الكتاب، ج١، ص٢٨، ٢٥.

(٤٠) الكتاب، ج٤، ص٢٣-٣٢٦.

(٤١) المصدر السابق، ج ٤، ص٥٠٧.

(٤٢) المصدر السابق، ج٤، ص٤٨١.

الثقل يأتي من صعوبة الجمع بين الامامي والخلفي فجرت المماثلة في الحركتين تجسيداً للانسجام الصوتي واستبعاداً للثقل لأن غرض المتكلم مبني على إرادة الخفة، واستبعاد الجهد الزائد في النطق، وتفسير سيبويه لهذه الظاهرة تفسير مبني على بصر دقيق بطبيعة الحركات فهو يؤكد مراراً على كراهية الضمة بعد الكسرة حتى أنه ليس في الكلام ان يكسروا أول حرف ليضموا الثاني نحو (فِعُل) وهو يرى "تركهم الواو في مثل موزان أوجب من قبل انه ساكن فليس يحجزه عن الكسرة شيء".

أي ان المماثلة في الحركات لا تقع ما لم تكن الحركة ملاصقة للأخرى. ولو أن الواو في مثل موزان ليست حركة تماماً إلا ان النحاة عاملوها ههنا معاملة الواو التي للمد واللين. ويستدل سيبويه على صحة هذا النظر من أنهم لا يقلبون اذا كان ما قبلها فتحة في مثل موعد وموقف لخفة الفتحة[٤٣].

وملاحظته هذه ملاحظة جيدة لأن الواو والألف متقاربتان من حيث ان الالف ونظيرتها الفتحة وسطيتان والواو خلفية والانتقال من الوسط الى الخلف اسهل للناطق من الانتقال من الامام الى الخلف.

٧- زيادة الصامت لتبيان الحركات

ويقارب النظر في الصوائت الطوال والقصار ما عرض له سيبويه من زيادتهم الهاء في اواخر الكلم للإبانة عن الحركة في الوقوف. وقد أطلق سيبويه على هذه الهاء المزيدة اسم هاء السكت. في مثل ادعه وارمه. وضارع بينها وبين تلك التي تزاد للوصل في مثل قول القائل: أينه؟ يريد: أين؟ فهو لإظهار الحركة اضطر الى ما يشبه النطق بالهاء. وذلك يقع في مثل هنه وهلمه. قال الشاعر:

يا أيها الناس ألا **هلمه**.

وهو يريد (هلمّ) وهذه الهاء تلاحظ صوتاً وسمعاً وقد تظهر في الخط عند بعضهم و"إنما هي للإبانة عن الحركة"[٤٤].

واذن فإن سيبويه يقدر ان الوقوف على الحركة امر غير ممكن في النظام الصوتي العربي واذا سكن آخر الكلمة خيف الا تتم الفائدة فجيء بالصوت الزائد نطقاً لإبانة الحركة الضرورية للسامع.

وفي هذا أيضاً ما يبنون الحركة فيه بزيادة الهاء في مثل قولهم: غلامية. وجاء من بعديه. ومنه قوله تعالى: "ما أغنى عني ماليه"[٤٥] ومنه أيضاً زيادة الهاء في النداء كقولهم: يا غلاماه، و"وازيداه" لأن النداء – عند سيبويه– "موضع تصويت وتبيين فأرادوا ان يمدوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك"[٤٦].

ونقيض ذلك ما يقع في النداء وغيره مما يعرف بالترخيم وهو عكس الزيادة.

والترخيم شيء عرض له النحاة في الاعراب ولكنه عند سيبويه ظاهرة صوتية مثلما هو ظاهرة ذات صلة بالنحو، وحذف أواخر الأسماء المفردة عنده انما يكون للتخفيف وقد شبه هذه الظاهرة بظواهر الحذف الاخرى، وانما يكون الترخيم في النداء لكثرته في كلامهم فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين او كما حذفوا الياء من قومي فقالوا يا قوم، ونحـوه[٤٧]. والترخيم يكون إما بحذف صوت واحد، أو حذف صوتين كقول الفرزدق:

يا **مرو** إن مطيتي محبوسـة
ترجو الحياة وربها لم ييأس

وقال الراجـز:

يا **نعم**، هل تحلف لا تدينها؟

قصد الأول: "مروان" والثاني "نعمان"[٤٨].

وأيا ما كان الامر فإن سيبويه لم ينتبه الى الترخيم الذي

(٤٣) المصدر السابق، ج ٤، ص٤٧٩ وانظر ٥٠٢.

(٤٤) المصدر السابق، ج ٤، ص٢٧٥-٢٧٦.
(٤٥) سورة الحاقة، الآية ٢٨.
(٤٦) الكتاب، ج ٤، ص٢٧٧-٢٧٩ وانظر ج٤، ص٣٥٧.
(٤٧) المصدر السابق، ج ٢، ص٢٣٩.
(٤٨) المصدر السابق، ج ٢، ص٢٥٦-٢٥٧.

يقع في وسط الكلمة كالذي يحدث في: يرى التي أصلها يرأى. واكتفى بالاشارة اليه فيما هو حذف أو همزة بين في مثل: كأس وكاس.

٨- التغيير النطقي في غير الصوائت

وعلى الرغم من أن الظواهر الفونولوجية في الصوائت كثيرة جداً تضيق على الحصر، فإن التأمل فيما ذكره سيبويه عن التغيير النطقي في الاصوات الصحيحة أي الصوامت – بالتعبير الحديث – يضاهي ما ذكره عن الصوائت من حيث الكم والنوع. وقد عرض لعدد من الظواهر النطقية مثل الابدال الشائع والنادر فيما سماه مقاربة الحروف طوراً ومضارعة الحرف حرفاً آخر في طور ثان. والإدغام بنوعيه الادغام القوي الذي يقع في كلمة واحدة، والادغام التأليفي الذي يقع بين كلمتين متجاورتين. وتحدث عما يعرف بالمماثلة وهي ان يشرب الصوت نطق صوت اخر بتأثير المجاورة فيكتسب منه بعض صفاته كالجهر او الشدة او الاطباق وذكر ما يقع في الألفاظ من قلب مكاني مختلف عن ذلك الذي يقع في الحركات. وفي الفقر المتبقية لنا من هذا البحث سنعرض لهذه الملاحظات مؤيدة بالأمثلة والشواهد المتوفرة مما أورده في تضاعيف الكتاب من تعليل أو تفسير أو توضيح لهذه الظواهر مبني على اساس صوتي لا على أساس آخر.

أ-الابدال الشائع والابدال النادر

من الابدال الشائع الذي تكلم عليه سيبويه ابدال اللام التي للتعريف من الحرف الذي يليها اذا كانت مما يسمى عرفاً باللام الشمسية. فإذا وقعت اللام- وهي ساكنة بالطبع – قبل احد الاصوات الثلاثة عشر: النون والراء والدال والصاد والطاء والزاي والسين والشين والظاء والتاء والثاء والذال والضاد أبدلت من الصوت الواقع بعدها. وهذا الابدال حتمي لا خيار فيه للمتكلم ولا إرادة، لأن هذه الحروف في رأي سيبويه مخرجها من طرف اللسان عدا الشين والصاد فهما تخالطان طرف اللسان. وكأنه يريد ان يقول: ان اللام لما كانت من طرف اللسان وجاءت ساكنة قبل هذه الاصوات لم يجز فيها الا الادغام ليكون النطق من وجه واحد. وهذا يقع في اللام التي لغير التعريف اذا وقعت ساكنة قبل هذه الاصوات نحو: (هل رأيت؟). ويقع هذا أيضاً بين اللام والشين كما في قول ابن تميم العنبري: تقول إذا استهلكت مـــالاً للذة

فكيهة: **هشيء** بكفيك لائق.(٤٩)

وقد يعترض القارئ على تناول هذه الظاهرة في اطار الابدال الشائع مفضلاً تناولها في اطار الادغام، ولكن اللام حين ادغمت في الشين او الراء او أي صوت من الاصوات الثلاثة عشر المذكورة انما ابدلت اولاً من الحرف ثم طبق عليها ما يطبق على المثيل الساكن مع مثيله المتحرك بعده.

وتفسير سيبويه لهذا النوع من الابدال تفسير مقبول لأن سبب الابدال هو ما تشترك فيه اللام مع الاصوات الثلاثة عشر الاخرى في صفة من صفاتها وهي ملامسة طرف اللسان لأصول الثنايا العليا بدليل ان اللام لا تبدل اذا تلاها احد الاصوات الاخرى كالقاف وهي حلقية فيقال: القمر والميم وهي شفوية (الممر) والباء وهي شفوية (البون).

ومن الابدال الشائع ما يسميه سيبويه مضارعة الحرف حرفاً آخر، نحو الصاد الساكنة اذا وقعت بعدها دال مباشرة، فإنها تلفظ كالزاي لتماثل الدال من حيث الجهر. ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الافتقار لصفة الاطباق. وذلك في مثل قولهم: مصدر، ومصدق، وإنما: "دعاهم أن يقربوها ليكون العمل من وجه واحد"(٥٠). وهذا يقع في السين متى كانت ساكنة قبل الدال نحو قولهم في "يسدل ثوبه: (يزدل ثوبه)" لأنها من موضع الزاي وليست مطبقة. والمضارعة او التقريب في الصاد اكثر واعرف منه في السين. والشين اذا وقعت بعدها الدال كان فيها ما يكون في الصاد والسين فيقال في اشدق: ازدق والجيم كذلك اذا وقعت قبل الدال ضارعت الشين، فيقال في مثل اجدر

(٤٩) المصدر السابق، ج ٤، ص٥٩٠، ٥٩١.

(٥٠) المصدر السابق، ج ٤، ص٦٠٨.

واشدر للسبب نفسه[٥١]

وقد يقع الابدال النادر في صوتين صحيحين يشتركان في احدى الصفات او في المخرج. فاللام والنون من طرف اللسان. وقد لوحظ ان احدهما وهو اللام يحل محل الاخر دون ان يؤثر في اختلاف المعنى. فكلمة اصيلان وردت في الشعر أصيلال:

وقفت فيها أصيلالاً أسائلها

عيت جواباً وما في الربع من احد[٥٢]

وهذا ما يجري في العربية الدارجة الحديثة اذ ابدلت النون من اللام في مثل: برتقان عوضاً عن برتقال. وأبدلت الهمزة هاء في مثل قولهم: هياك بدلاً من إياك، وهناك في لأنك، وهراق بدلا من اراق، وهراح بدلا من اراح في قولهم هراح الفرس[٥٣]. وقد يقع الابدال نادراً في الصوامت والصوائت أي حلول الصائت محل الصامت، ورد ذلك في شواهد الكتاب، من قبل ابدال الياء من الياء:

لها اشاريز من لحم تتمره

من الثعالي ووخز من أرانيها

فقد أبدلت الياء من الياء في الثعالب والأرانب. وفي اعتقادنا إن هذا اقرب ما يكون الى الحذف او الترخيم منه الى الابدال لكون الشاعر اسقط الصوت الصحيح للضرورة فأطال الحركة القصيرة، ومثله قول الشاعر:

ومنهل ليس له حوازق

وللضفادي جمة نقانق[٥٤]

فهو أسقط العين من الضفادع فيما يشبه الترخيم للضرورة، واضطر لاطالة الحركة القصيرة.

(٥١) المصدر السابق، ج ٤، ص٦٠٩ وانظر مطر، مرجع سابق، ص٥٦.

(٥٢) المصدر السابق، ج ٢، ص٣١٣

(٥٣) عبد اللطيف، ظاهرة الاعلال والابدال، مجلة مجمع اللغة العربية، ٤٨، ع١، ص١٥٦.

(٥٤) الكتاب، ج ٢، ص٢٧٣

ب- المماثلة Assimilation:

وثمة تداخل في ملاحظاته عن الابدال النادر والشائع فيما يعرف في علم اللسان بالمماثلة Assimilation التي عرفها دانيال جونز Daniel Jones في كتابه " An Outline of English Phonetics" بقوله: هي استبدال الصوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاوراً له في الكلمة أو في الجملة، وقد يتسع ذلك فيشمل الحالات التي يتم فيها ادغام احد الصوتين في الآخر. ويسمى هذا النوع بالمماثلة التجميعية او الادغام Coaleseent assimilation ومثال النوع الاول في كلمتي horse, shoe عندما تركبان في كلمة واحدة horshoe[٥٥].

وقد عرض سيبويه للنوع الأول من المماثلة التي تقع في كلمتين متواليتين بحيث يقترب صوت من آخر ويدغمان في مثل قولهم: "(من لك) وقولهم: (بعل لك) بحيث يتم التخلي عن الصائت القصير في لك ليصار الى ادغام اللامين. ومثل هذه المماثلة او الادغام لا يقع بين الاصوات الا لسبب ناتج عن صفاته متقاربة بينها. والى هذا الرأي يذهب الطيب البكوش في قراءته لباب الإدغام من الكتاب[٥٦].

وثمة فرق بين الادغام في مثل مد، وجر وندوه. فهذا غير ناتج عن المماثلة وانما عن تكرار صوتين الأول منهما ساكن، ولأن العربية تكره توالي المتحركات فقد جرى في مثل جعل لك وفعل لبيد مثلما جرى في مد وجر. أي انهم اسقطوا الصائت القصير[٥٧] طلباً للخفة وحسن المنطق.

ويحسن الادغام في نظره اذا تقدم على الحرفين المتماثلين حرف مد كالألف او الواو او ياء في مثل راد وشاب، لأن صوت المد بمنزلة المتحرك. ومما يؤيد ذلك انهم اذا حذفوا شيئاً من العروض او الضرب في الشعر لم يجز ان يكون ما قبل المحذوف إلا حرف مد، كأنه يعوض

(٥٥) مطر، مرجع سابق، ص٥٦.

(٥٦) البكوش، النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، ص١٤٣.

(٥٧) الكتاب، ج ٤، ص٥٧٦.

ذلك لما فيه من الطول كقول الشاعر:

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب[٥٨]

وفي هذا يتضح ان سيبويه يقترب من الفكرة التي يؤكدها علم الاصوات الحديث وهي ان صوت المد حركة لا صوت صحيح، وقد يقع التماثل بين صوت رقيق وآخر مفخم أي مطبق، فإذا قاربت السين الطاء ابدلت من الصاد لتناظرها في الصوت وتقترب منها في صفة الاطباق، فيقال في بسطو: بصطو، وكذلك التاء تقرب من الزاي لتكتسب صفة الجهر في مثل ازدجر، والسين إذا جاورت القاف في مثل: سقت ضارعت القاف التي من اقصى الحنك فأبدلت من الصاد لتناظر القاف في التفخيم والاقتراب من الحنك الاعلى، ولا يمنع حدوث المماثلة ان تكون السين متحركة[٥٩].

واللافت للنظر ان سيبويه في تعليله لظواهر الادغام او التماثل او المضارعة والمقاربة كما يسميها لا تفارقه الاشارة الى مسألة الانسجام الصوتي، فالميم وهي شفوية لا تدغم في الباء في مثل قولنا: "أكرم به"، لأنها وان كانت تشترك مع الباء في التشفية الا انها تختلف عنها في انها انفية كالنون. وهم يقلبون النون في مثل (عنبر). "فلما وقع مع الباء الحرف الذي يغرون اليه من النون لم يغيروه. وجعلوه بمنزلة النون اذا كانا حرفي غنة".

وعلى الرغم من هذا فان الميم اذا سبقتها الباء تتماثل معها ويدغمان إن لم يفصل بينهما صائت قصير، وذلك كقولهم: " اصحب مطراً" اصح مطراً. وهذا ينطبق على الفاء والباء أيضاً. فالأولى من باطن الشفة أو أطراف الثنايا العليا. فلا يقع الادغام في: اعرف بدرة، ولكن اذا انعكس الترتيب نحو: اذهب في ذلك، ضارعت الباء الفاء للتقارب.

وقد تتبع سيبويه هذه الظاهرة في اصوات عديدة من العربية مثل الراء والشين، والهاء والعين[٦٠].

ج – القلب المكاني

وتحديث سيبويه عما يعرف بالقلب المكاني سواء في الحركات مثلما مر بنا من قبل، او الحروف الصحاح المسماة بالصوامت[٦١]. والقلب المكاني metathesis هو أن ينتقل حرف مكان آخر في الكلمة مع بقائها – بطبيعة الحال – على معناها الاصلي الذي وضعت له. وقد تمثل سيبويه بكلمة "أنيق" وإنما هي في الاصل أوْنق فأبدلوا الياء مكان الواو وقلبوا[٦٢]. والقلب المكاني من الامور الملاحظة في العربية لكن انتشارها محدود، ومن هذا القبيل استعمال كلمة (مغلقة) عوضاً عن (ملعقة) في اللهجات العربية الحديثة، وكذلك استعمال كلمة (اتحرق) و(اتخرب) و(اتحبس) في الدارجة المصرية بدلاً من احترق واخترب واحتبس. وهي ظاهرة ليست تنفرد بها العربية عن غيرها من اللغات. فقد ذكروا ان اسم العلم رولاند Roland في الفرنسية مأخوذ من الايطالية Orlando وكلمة Fraile الاسبانية ومعناها راهب تلفظ بالدارجة Flair وكلمة magasin الفرنسية تلفظ بالدارجة mazaguin[٦٣].

نتـائج البحـث

مما سبق يتضح للقارئ ان علماء اللغة العرب وفي مقدمتهم سيبويه سبقوا الى النظر فيما يتركه الاستعمال من تاثير وتغيير في نطق الاصوات اللغوية سواء ما كان منها من الصوامت الصحاح، أو الصوائت الطوال والحركات. وقد علل سيبويه غير قليل من هذه التغييرات النطقية التي تندرج في مدار البحث الفونولوجي – بالتعبير المستخدم في علم اللسان الحديث– تعليلاً قائماً على معرفة دقيقة بخصائص الاصوات، وصفاتها، وتقارب مخارجها، وما ينشأ من تبادل لهذه الصفات بسبب المجاورة، والتفاعل الصوتي الذي يتحقق داخل بنية الكلمة، أو بين كلمتين

(٥٨) المصدر السابق، ج ٤، ص٥٧٧.
(٥٩) المصدر السابق، ج ٤، ص٦٦٠-٦٦٩.
(٦٠) المصدر السابق، ج ٤، ص٥٨٤.
(٦١) المصدر السابق، ج ٣، ص٣٦٦.
(٦٢) عبد اللطيف، مرجع سابق، ص٥١٦.
(٦٣) مالمبرج، الصوتيات، ص٨٩.

متجاورتين فيما يعرف بالمماثلة التوليفية(٦٤).

وقد استغرق حديثه معظم الظواهر الفونولوجية تقريبا سواء تلك التي تتصل بمباحث الصرف او تلك التي لا صلة لها بذلك فتكلم عن زيادة الصائت القصير، وزيادة الصائت الطويل، وحذف الصوائت، وابدال بعضها من الآخر توخيا للتماثل فيما بينها، وتحقيق الانسجام الصوتي. وكذلك القلب المكاني في الحركات بقصد التسهيل في الوقوف كما أشار بنوع من التفصيل والاسهاب لما يعرف بالمماثلة والمغايرة في الصوامت، أو الصحاح، وما يحدث فيها من القلب، والابدال النادر، والشائع، فضلاً عن مضارعة الحرف لحـــرف آخـــر، وتقريب الصـــوت من الصوت، مع ما يتطلبه ذلك من تفخيم او اطباق او ادغام وعلل مثل هذه الظواهر تعليلاً صوتياً، فرد أكثرها إلى كراهية توالي الحركات، واستثقال الانتقال من الكسر الى الضم، او الانتقال من الامامي الى الخلفي، او الصعود من المرقق الى المفخم المطبق، وذلك ليكون العمل في رأيه من وجه واحد؛ فالتشتت "والتهوع" من الظواهر التي تستثقل في النطق، ولا يستعذب فيها الحديث. وأن يلتفت سيبويه الى مثل هذه الجوانب في كتاب غير مخصص أصلاً للصوتيات، ولا لفقه اللغة، وانما للنحو والصرف، دليل واضح على النباهة التي حظي بها، ودقة النظر التي جبل عليها وطبع.

المصادر والمراجع

ابراهيم، عبد الفتاح د.ت، مدخل في الصوتيات، دار الجنوب للنشر، تونس.

ابن جني، أبو الفتح، ٣٩٢هـ، سر صناعة الاعراب (جزآن) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ١٩٨٨، وانظر طبعة دار القلم، بيروت، ١٩٩٣.

أنيس، إبراهيم، ١٩٧٩، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، ط٥، مصر.

باي، ماريو، ١٩٧٢، أسس علم اللغة، ترجمة احمد مختار عمر، ١٩٨٣، طرابلس، ليبيا، ط٢.

بشر، كمال، ١٩٨٦، علم اللغة العام، الاصوات، دار المعارف، ط٢ ، مصر.

البكوش، طيب، ١٩٧٤، النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، حوليات الجامعة التونسية، ع ١١.

البكوش، طيب، ١٩٩٢، التصريف العربي في ضوء علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ط٣ ، تونس.

حسان، تمام (د.ت)، العربية معناها ومبناها، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، ط٢.

خليل، إبراهيم، ١٩٩٧، المقطع العروضي في ضوء الدراسات الصوتية، مجلة دراسات، مج ٢٤، ع١، الجامعة الاردنية.

الخولي، محمد علي، ١٩٩٨، معجم علم الاصوات، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ط أولى.

روبن، هـ، موجز تاريخ علم اللغة، ترجمه عن الانجليزية احمد عوض، ١٩٩٧، المجلس الوطني للثقافة، ط١، الكويت.

السفروشني، إدريس، ١٩٨٧، مدخل للصواتة التوليدية، دار طوبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، المغرب.

سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، ١٨٥هـ، الكتاب (٥ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط٥، بيروت، د.ت. وتحقيق إميل يعقوب، ١٩٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

شاهين، عبد الصبور، ١٩٨٨، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت.

الشايب، فوزي، ١٩٩٩، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، ط١، عمان.

عبد اللطيف، محمد حماسة، ١٩٨١، ظاهرة الاعلال والابدال، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٤٨، القاهرة، ع١.

عبده، داود، ١٩٨٦، القواعد الصوتية في استعمال المعجم، المجلة العربية للعلوم الانسانية، مج٦، ع٢٣، جامعة الكويت.

(٦٤) ومثال ذلك في اللغة الانجليزية ان تلفظ كلمتا give و him في علاقة توليفية givim انظر Richards, Jack, Longman Dictionary of Applied Linguistics, givim.

كانتينو، جان، ١٩٦٦، دروس في علم الاصوات العربية، نقلـــه الى العربية صالح قرمادي، الجامعة التونسية، تونس.

مالمبرج، بارطيل، ١٩٨٥، الصوتيات، ترجمة محمد هليل، ١٩٨٥، الخرطوم، ط١.

مطر، عبد العزيز، ١٩٧٠، في ابتكار نظرية التماثل، مجلة اللسان العربي، مج ٧، ج١، الرباط.

Richards, Jack. 1985. Longman Dictionary of Applied Linguistics, 1ed., London.

Vaschek, J. 1970. The Linguistic School of Prague, 2ed, Indiana University Press, Blomington, London.

Sibawaih and Phonological Change in Arabic Consonants and Vowels

I. Khalil*

Abstract

Ancient Arab grammarians studied the influence of speech sounds on each other in the process of communication. The contribution of Sibawaih in this field has been acknowledged by several Arabs and orientalists. The views which Sibawaih expressed in his work "The Book" call for many studies.

This research is just an attempt to highlight Sibawaih's views pertaining to the influence of speech sounds on each other in words and sentences.

His knowledge of the characteristics of Arabic sounds in terms of place and manner of articulation helped him a lot in explaining the sound changes resulting from the influence of sounds on each other. That is why Sibawaih devoted a whole chapter of the book to explaining these changes.

* Dept of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Jordan. Received on 13/2/2001 and Accepted for Publication on 8/7/2001.